أطفال الشوارع .. ضحايا قدر .. أم ضحايا مجتمع؟!!

المدن الساحلية من أكثر المناطق انتشاراً لأطفال الشوارع

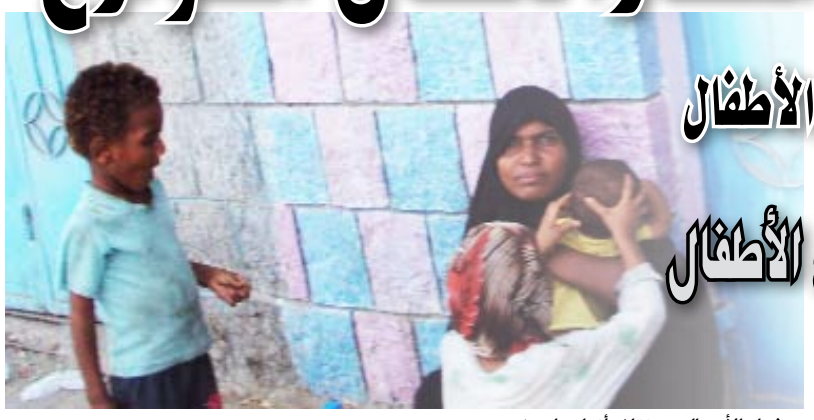

الفقر والبطالة والظروف الأسرية وراء أسباب تزايد المشردين من الأطفال

التجمعات العشوائية المنتشرة تمثل بؤراً أساسية لاستقبال هؤلاء الأطفال

استطلاع وتصوير/ أحمد كنفاني

ظاهرة أطفال الشوارع من أسوأ الظواهر الاجتماعية الآخذة في الانتشار والتفشي في معظم المناطق والمحافظات اليمنية وعلى وجه الخصوص المناطق والمدن الساحلية التي تعاني من كثافة سكانية وترد في الدخل، فلا يكاد يخلو شارع واحداً منها إلا وتجد أطفال الشوارع يعيشون ويتجولون فيها .. أطفال حرموا من حقوقهم.. قد يختلفون في ملامحهم لكنهم يتفقون في معالم المأساة التي يعيشون تحت لهيبها وتوضح الدراسات والأبحاث التي أجريت من قبل منظمات ومؤسسات عاملة في مجال رعاية حقوق الطفل في اليمن خلال الأعوام الماضية أن هؤلاء الأطفال يتعرضون لأشكال مختلفة من العنف والاغتصاب ويتم توظيفها وتشغيلهم في التسول والأعمال الخطرة كمهنتي رش المبيدات على المزروعات والصيد وغيرها.

أطفال الشوارع في الحديدة

أوضحت عائشة حشابرة مديرة جمعية حقوق الطفل اليمني في محافظة الحديدة أن أطفال الشوارع بتعبير عام يستخدم لوصف الأطفال اليافعين الذكور والإناث الذين يعيشون في الشوارع لفترات طويلة من الزمن.

وأشارت إلى أن هناك أسبابا كثيرة لكي ينتهي الحال بالأطفال في الشارع فبعضهم ليس له بيت إذ ربما تخلت أسرته عنه والبعض الآخر من اليتامى أو المحرومين ممن يقدم لهم الرعاية الأولية .. ولفتت إلى أن الفقر والنزاع من أهم أسباب انتشارها والذي يجعل الأسر تدفع بأبنائها إلى ممارسة أعمال التسول وممارسة الأعمال والمهن الخطرة مما يعرضهم لانحرافات ومخاطر الشارع والمرض أو الموت.

وأكدت حشابرة في معرض تصريحها أن الظروف الأسرية تلعب دوراً أساسياً في التهيئة لانتشار ظاهرة أطفال الشوارع ومن أبرز الظروف التي تساهم في حدوث ذلك تفكك الأسر أما بالطلاق أو الهجر أو وفاة أحد الوالدين وكبر حجم الأسرة عن الحد الذي يعجز فيه الآباء عن توجيههم وتلبية احتياجاتهم ونوهت بأن حدوث الطلاق بين الزوجين ومعهم عدد من الأطفال قد يؤدي في بعض الأحيان إلى جعل أطفالهم يعيشون في البيت والشارع، وأطفال يعملون في الشارع يحصلون على دخل لا بأس به وأطفال يستغلون وخاصة الاستغلال الجسدي وقسوة الوالدين على الأبناء قد يدفعهم إلى الهروب من المنزل والانضمام إلى أصدقاء السوء.

واختتمت حديثها بالقول أن من أهم العوامل المجتمعية المساهمة في توسع الظاهرة هو نمو وانتشار التجمعات العشوائية التي تمثل البؤر الأولى والأساسية المستقبلة لأطفال الشوارع والتسرب من التعليم ودفع الأطفال إلى سوق العمل والشارع والفقر وارتفاع نسبة البطالة بين أرباب الأسر التي تدفع بأطفالها إلى الخروج للشارع والتقصير من الدولة في مواجهة الظاهرة والتقليل من حدة انتشارها على مستوى الجمهورية وخاصة في محافظة الحديدة.

مأساة أطفال الشوارع

من جهتها اعتبرت فيروز طاهر الويس رئيسة اللجنة الوطنية للمرأة فرع الحديدة أن ظاهرة أطفال الشوارع من أبرز قضايا الطفولة التي يعانيها اليمن فهم في العادة أطفال فارون من أسر متفككة أو لا أسر لديهم أصلاً يفتقرون إلى المأوى ويستوطنون الشارع ويفتقرون إلى أي دخل ويتعرضون في أماكن إقامتهم إلى أفظع أشكال الانتهاكات لحقوقهم في البقاء والنمو والحماية الطبيعية وأشارت إلى أن أطفال الشوارع في محافظة الحديدة يتمركز معظمهم في الساحات العامة ومواقف السيارات وأماكن بيع القات والمطاعم والأسواق العامة والمساجد.

وأوضحت فيروز الويسي أن من مظاهر هذه الآفة الاجتماعية اندفاع الأطفال عند إشارات المرور لمسح زجاج السيارات مقابل مبلغ معين أو بيعهم بعض الأشياء التي لا تعطي مردوداً ممتازاً في الساعات الأخيرة من النهار،لكن بمظهرها نوع من أنواع التسول إضافة إلى بعض المشاهد التي باتت جزءاً من الأسواق العامة وزوايا الشوارع ومنعطفات الطرق الذي نرى فيها رجلاً وامرأة وبجانبهما أطفال صغار وتنتشر هذه الظاهرة خاصة مع حلول شهر رمضان من كل عام يرددون عبارات يستعطفون بها المارة ويطلبون المساعدة لهؤلاء الأطفال الأيتام وما شابه ذلك والذين غالباً ما يتم التمثيل بهم أو استئجارهم لممارسة هذه المهنة.

الدولة و أطفال الشوارع

من جهته قال الدكتور عصام عقلان مدير مركز تنمية المجتمع والتعليم المستمر في جامعة الحديدة وأحد الباحثين أن الفقر وارتفاع عدد أفراد الأسر وضعف التعليم وغياب الدور المؤثر للأب في الأسرة يمثل أهم الأسباب الرئيسية لانتشار الباعة والمتسولين من الأطفال في شوارع مدينة الحديدة ويرى من وجهة نظره أن مدينة الحديدة وبقية المحافظات اليمنية لا تختلف عن باقي محافظات الدول العربية سوى في أماكن انتشار أطفال الشوارع وأن اختلفت نظرة المجتمع إليهم إلا إنهم يمثلون قنابل موقوتة تهدد الأمن والسلم الاجتماعي والنهوض الاقتصادي ما لم تجد لها الحكومات حلولا جذرية ونهائية للقضاء على هذه الظاهرة.

طلال الدبعي

فيروز الويسي

د.عصام عقلان

الأطفال وأسواق القات في الحديدة

في نزولنا الميداني لأسواق المقوات الجديد وعثمان والجالية في مدينة الحديدة وبعض إشارات المرور بجولات الحكيم وجمال والنخيل بشارع صنعاء وجدنا (7) أطفال يتحركون وفق إشارات رجال المرور بملابسهم البالية الممزقة حفاة الأقدام لم تتجاوز أعمارهم العاشرة وما أن يؤشر رجل المرور حتى يهبون مسرعين يتنقلون ما بين سيارة وأخرى يعرضون بضاعتهم والمتمثلة في بيع كراتين من المناديل أو أكياس من الماء أو الفل وقبل أن يحرك رجل المرور يده بالإشارة معلناً تحرك السيارات في الاتجاه الآخر يتنقلون إلى ذلك الشارع بسرعة البرق، بينما في المقوات يعملون على جمع عيدان القات الذي يتساقط من الباعة عند الجميع ويقومون بجمعها وبيعها على الشرائح المعدمة التي لا تمتلك إلا الشيء اليسير لشراء القات بالرغم من تعرضهم للضرب والشتم من قبل الباعة عند مد أيديهم لأخذ تلك العيدان.

بينما في المقابل في مراكز الإنزال السمكي في مؤسسة الاصطياد وجدنا العشرات من الأطفال الذين يعملون في مهنة اصطياد وجلب وشراء الأسماك بمختلف أنواعها ومنهم الأطفال محمد عبد الله كشعة وحسن يوسف وعثمان الصادق ومناجي داود وفؤاد المرقم وصالح علي ويحيى المزجاجي وجميعهم تتفاوت أعمارهم ما بين العاشرة والثالثة عشرة والذين ردوا على تساؤلاتنا التي وجهناها إليهم بمنتهى الصدق والبراءة بأن آباءهم يجبرونهم على العمل رغماً عنهم وأنهم يتعرضون للضرب المبرح من قبل آبائهم والطرد من المنزل في أكثر الأحيان في حال رفضهم للعمل.

طفولة أهدرتها الأرصفة

وعند سؤالهم عن تعرضهم لمضايقات أثناء العمل في هذه المهنة رد أحدهم نعم نتعرض دائماً لمضايقات ومنها محاولة بعض الأشخاص التحرش بهم جنسياً وممارسة اللواط معهم وأنه في أحد المرات تعرض للاعتداء والخضوع لذلك بالقوة وللأسف أصبح اليوم مولعاً بهذا مقابل دفع مبلغ (300) أو (500) ريال إليه بينما أدهش الطفل مناجي داود بالبكاء الشديد وأفاد أنه تذكر وفاة أخويه محمد وناصر وهما يبلغان من العمر (11) عاماً في إحدى رحلات الصيد حين انقلب بهما القارب ومن معهم في مياه البحر خلال ديسمبر 2011م ولم يعرف عن مصيرهم أي شيء بينما ذكر يحيى المزجاجي أن أخوه عبد الله ما يزال مريضاً حتى اليوم وقد مضى على حاله هذا أكثر من (4)أشهر نتيجة تعرضه للسقوط من على القارب الذي كان يعمل عليه أثناء تنظيفه وعمره لم يتجاوز الرابعة عشرة.

سمات أطفال الشوارع

يرى الكثير من الباحثين والعاملين في منظمات المجتمع المدني وحقوق الطفل ومنهم الأخ طلال الدبعي مدير دار التوجيه الاجتماعي لرعاية وتأهيل الأيتام في محافظة الحديدة، حيث قال إن معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوانية نتيجة الإحباط النفسي الذي يصيب الطفل من جراء فقدانه الحب داخل أسرته ويزداد الميل إلى العدوانية مع ازدياد المدة التي يقضيها الطفل في الشارع حيث يتعلم أن العنف هو لغة الحياة في الشارع، بالإضافة إلى أن أطفال الشوارع يمارسون العنف نحو بعضهم البعض وكذا الانفعال السريع والغيرة الشديدة والتشتت العاطفي وعدم التركيز وامتلاكهم مبدأ الصواب والخطأ وحب التملك والمساواة مع الآخرين والشغب والحركة وتميز معظمهم بالذكاء.

(70 ٪) من المشردين أطفال في الحديدة

وقال إن الفقر وتردي الأوضاع الاقتصادية دائماً ما يؤدي إلى نشوء ظاهرة أطفال الشوارع ووفقاً لدراسة أعدها دار الأحداث التوجيه الاجتماعي لرعاية وتأهيل الأيتام والذي يقوم بالإشراف على دار الأحداث في محافظة الحديدة، فقد وصل عدد المودعين في الدارين التابعين لمكتب الشؤون الاجتماعية حتى نهاية الربع الأول من العام الحالي 2012م حوالي أكثر من (200) طفل وطفلة ما بين يتيم ومرتكب جريمة أو فاقد الأهلية وغيرهم وقد تم تقسيم أطفال الشوارع إلى (4) فئات مطاريد المنازل وفاقدي الأبوين ومطاريد الأحداث والضالين وهم من ظلوا الطريق ولم تساعدهم الظروف في العودة إلى منازلهم وهم في أعمار صغيرة وأشار إلى أن الدراسة أظهرت أن الحديدة ، وباجل وبيت الفقيه هي أكثر المدن التي ينتشر فيها المشردين معظمهم من الأطفال حيث تأوي شوارع تلك المدن ما نسبته 70 ٪ من إجمالي المشردين في محافظة الحديدة ولفت إلى أن أغلب هؤلاء الأطفال من الذكور وتشكل البنات فئة ضئيلة من تلك الفئة.

أطفال بين الضياع والنظرة المجتمعية

دنيا هاني

إذا تكلمنا عن أسباب انتشار ظاهرة أطفال الشوارع فسنجد أن الفقر في القائمة الأولى دائماً وهو ما يدفع بالأسر لأن تخرج أبناءها لممارسة أعمال التسول والتجارة لبعض السلع الهامشية مما يعرضهم لانحرافات ومخاطر الشارع.

وبعدها يأتي وضع الأسرة وظروفها كتفككها أو وجود حالات طلاق والمشاكل والصراعات المستمرة بين الوالدين أو حتى ارتفاع عدد أفراد الأسرة ما يجعلهم جميعاً ينامون في غرفة واحدة وهذا كله له أثر كبير في خروج الأطفال إلى الشارع وتعرفهم بأصحاب السوء الذين يجرونهم معهم في بعض الأحيان إلى طريق غير سوي, ثم نأتي إلى الجانب المجتمعي وهو مشكلة البطالة وعدم التعليم هذان الجانبان لهما أهمية كبيرة في خلق طفل واع ومثقف يدرك أهمية التعليم في تنمية ثقافته ومداركه في الحياة ومعرفته لأهمية العمل في بيئة جيدة ولهذا الأطفال المحرومون من هذين الجانبين تجدهم يلجأون للشارع الذي يحتضنهم ويفتح لهم ذراعه للخلاص مما يعانونه.

وليس كل أطفال الشوارع مرتاحين وراضين بوضعهم هذا فالأغلبية خرجت مرغمة وغصبا عنها فكل طفل يتمنى أن يتعلم وان يلعب وأن يمارس طفولته مثله مثل باقي الأطفال ولكن الظروف حكمت عليه عكس ذلك.

وعلى الرغم من أن بعض الأطفال تكيفوا مع وضعهم ومعيشتهم في الشارع إلا أنهم يظلون يتعرضون لمخاطر صحية ونفسية عديدة أهمها التعرض للتسمم الغذائي ويحدث ذلك نتيجة لأكلهم أطعمة فاسدة تكون منتهية الصلاحية أو من التي يجمعونها من القمامة ويقومون بأكلها وهذا يعرضهم أيضاً للإصابة بمرض التيفود بسبب الأطعمة غير النظيفة وغير الصحية ويصابون أيضاً بمرض البلهارسيا بسبب المياه الملوثة التي غالباً ما يتجمعون سوياً ويقومون بالاغتسال فيها, ناهيك عن الأنيميا والجرب وتعب في الصدر بسبب الدخان المنتشر من عوادم السيارات أو بعضهم بسبب غياب الرقابة يقومون بالتدخين وشرب الشيشة مما يعرضهم لمخاطر صحية أخرى.

وغير هذا وذاك لا يوجد مستقبل لهؤلاء الأطفال فمستقبلهم بلا أمل فدائماً يكونون عرضة للاستغلال من جماعات إجرامية تستخدمهم كأدوات سهلة ورخيصة للقيام بأنشطة غير مشروعة في توزيع ممنوعات أو أعمال منافية للآداب.

وتبقى نظرة المجتمع لطفل الشارع هي أكثر ما يؤثر فيه فعلى الرغم من عدم تقبلهم في بعض المناسبات وسوء تصرفهم وطباعهم غير الجيدة إلا أنهم يظلون يأخذون حيزا كبيرا من حياتنا اليومية ولا بد علينا أن نعترف أن أغلبية هؤلاء الأطفال يحتاجون فقط إلى النظر لهم بعين الموجودين وليس المهمشين وإلى نظرة مجتمعية رحيمة ومتفهمة تقف بجانبهم وتحاول إنقاذهم من الضياع الذي ينتظرهم أو الذي ربما قد سلكوا فيه.